

مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

ملف حول

نقد بيداغوجية الادماج
التربية والقيم



العدد الثامن والأربعون - يوليوز 2011

آليات تأثير البرمجة اللغوية العصبية في التحصيل الدراسي

مولاي المهدي هيبية

ومن أهم الدراسات التي أجريت بقصد التعرف على طبيعة العلاقة بين مفهوم الذات وبين التحصيل الدراسي دراسة قام بها برونك أوفر وبا ترسون، وطومسون على أكثر من ألف تلميذ وقد استخدموا في هذه الدراسة اختبار جيتمن بعد تعديله، واستخدموا اختبارا مماثلا لقياس إدراك هؤلاء التلاميذ لما يتوقعه منهم أبائهم وأمهاتهم ومدرسوهم. وقد أكدت الدراسة المشار إليها وجود علاقة مهمة بين متوسط درجات التحصيل وبين مفهوم المتعلمين عن قدراتهم. ويبلغ معامل الارتباط بين متوسط درجات التلميذ وبين درجات مفهوم الذات لديه 57%. ومما سبق «يمكن القول إنه على فرض أن الفروق في درجات التحصيل ترجع إلى فروق في الذكاء، فإن الفروق في درجات التحصيل عند تثبيت عامل الذكاء ترجع إلى الفروق بين التلاميذ في مفهوم الذات»¹

وعلى الرغم من الدور المهم الذي يلعبه الذكاء العقلي في التحصيل الدراسي، فقد أكدت دراسات رصينة على وجود ذكاءات متعددة² يجب أخذها بعين الاعتبار وأبرزها الذكاء الوجداني.

أجمعت العديد من الدراسات على أن انخفاض نسبة التحصيل لدى المتعلمين لا تعزى بالضرورة إلى تدني نسبة ذكائهم. وإنما قد تعزى إلى الأسرة (الطلاق، الفقر، إهمال الوالدين...) أو المدرسة (السلطوية، بعد مناهج الدراسة عن الواقع...) أو المتعلم نفسه (مرضه، صورته السلبية عن نفسه).

1- د. محمد علي كامل، علم النفس المدرسي. الأخصائي النفسي المدرسي ودوره في تقديم الخدمات النفسية. مكتبه ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع مصر 2003 ص 71.

2 - تحدثها وارد جاندر عن الذكاءات المتعددة سنة 1983 في كتابه "أشكال الذكاء".

وبما أن مؤسساتنا التعليمية تفتقر إلى المرشدين النفسيين والاجتماعيين، فقد تبين لي إمكانية الاستفادة من خدمات البرمجة اللغوية العصبية P.N.L la programmation neuro linguistique قصد تحفيز المتعلمين وتعديل نظرتهم السلبية عن ذواتهم والتخفيف من حدة ظاهرة الهدر المدرسي.

1- - تأطير تاريخي وضبط اصطلاحي:

لقد نظر البعض إلى الانفعالات باعتبارها أمراً مزعجاً وغير منطقي يؤثر سلباً في منطوق العقل. لهذا سادت فكرة مفادها ضرورة احتواء انفعالاتنا وعدم تركها تؤثر في قراراتنا. وقد نجم عن هذه النظرة تقسيم العقل إلى ثلاثة مجالات هي :

- أ- المجال المعرفي Cognitif: هو مصدر الأفكار، والذكاء العقلي، وهو يشير إلى مجموعة من القدرات المعرفية كالتهكير المجرد والاستدلال والحكم والذاكرة والتحليل.....
- ب- المجال العاطفي Affectif: يدرج فيه الانفعال والمزاج والأحاسيس والحدس.
- ج- المجال الدافعي Motivation: هو مركز الطاقة والحافزية.

وقد أثارت النظرة السابقة حفيظة بعض الدارسين الذين استهجنوا سيطرة المدرسة المعرفية على علم النفس وإهمالها الجانب الانفعالي الأمر الذي أدى إلى اختلال في النظرة المتزنة له باعتباره كائناً يجمع بين العقل والقلب. وبالتالي يبدو أن مفهوم الذكاء الوجداني « يأتي اعترافاً بأهمية دور انفعالاتنا وعواطفنا في نجاحنا أو فشلنا في مواقف الحياة المختلفة»³ وقد عززت علوم الأعصاب هذه الحقيقة في السنوات الأخيرة عندما أكدت على الارتباط القوي الموجود بين المعرفة والانفعالات⁴.

وقد ظهرت البرمجة اللغوية العصبية في سبعينيات القرن الماضي بفضل تضافر جهود ريشارد باندلر (عالم نفس) وجون جريندر (عالم لغويات). وجورج بانيسون (عالم إنسانيات). لقد درس هؤلاء العلماء الأنماط المخية، وكيفية ارتباط الكلمات والأفعال لتشكيل برامج معينة أو سلاسل سلوكية متشابهة، والعلاقة بين العقل والجسد والمشاعر والتصرفات. ويمكن تبسيط الأمر من حيث الدلالة الاصطلاحية على الشكل التالي:

3 - د. عثمان حمود الخضر. الذكاء الوجداني- إعادة صياغة مفهوم الذكاء. الناشر شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع الكويت ط 2 منقحة ومزودة محرم 1429 هـ يناير 2008 م. ص 11.

4 - انظر مجلة 41N° Cerveau psycho 2010 52P

البرمجة Programming: هي الأفكار الداخلية والأنماط السلوكية التي تساعد في تقييم المواقف وحل المشكلات واتخاذ القرارات.

اللفوية: ترتبط باللغة وكيفية استخدام المتعلم لها للتواصل مع الآخرين.

العصبية: ترتبط بالمخ وما يحدث في عقل المتعلم، واستخدام الحواس لفهم العالم، علماً بأن العمليات العصبية تؤثر في أفكاره ومشاعره ونفسيته وبالتالي في سلوكه أيضاً.

أما الذكاء الوجداني فقد ظهر سنة 1990 بفضل سالومي وماير وانتشر بعد ظهور أعمال دنيال غولمان. والمقصود به: «التعامل الإيجابي مع النفس ومع الآخرين، وقدرة الشخص على ضبط نفسه، والتحكم في ذاته في جميع الظروف»⁵

2- مبادئ البرمجة اللفوية العصبية P.N.L

تقوم على مجموعة من المبادئ يمكن اختزالها فيما يلي:

أ- المودة: المقصود بها شعور المتعلم بالرضا عن نفسه، والتفاعل بشكل إيجابي مع الآخرين.

ب- استخدام الحواس بفعالية: (البصر - السمع - اللمس - الذوق - الشم) قصد تيسير التواصل مع الآخرين (المدرسين، والمتعلمين..) وتحليل الأحداث والتركيز في الفصل وتقييم المواقف.

ج- المرونة: تعني امتلاك المتعلم العديد من الخيارات والبدائل، وجمع المعلومات من مصادر متعددة ومتنوعة (المدرس، المراجع، الكتب الموازية، الانترنت) بغية توظيفها في حالة إخفاق المحاولة الأولى. وبالتالي تعديل وتصحيح مسار التعلم واتخاذ القرارات الصائبة.

د- استخدام استراتيجية فعالة عند تحديد الأهداف: بحيث تكون قابلة للتحقيق وواقعية ومقيدة بوقت محدد. وهذا من شأنه أن يساعد في خلق التركيز وتحقيق النجاح.

د- الإيجابية والتفاؤل: تقتضي تغيير الأنماط الفكرية السابقة والتخلص من الأسف على الماضي والخوف من المستقبل وإقناع المتعلم بالانخراط في عهد جديد قوامه الطموح والتفكير الراشد المؤمن بحتمية التغيير المنشود إذا توفرت العزيمة والإرادة والرغبة والتفكير الإيجابي.

5 - د. أياد السفاريني. الذكاء العاطفي. سلسلة كن مبدعاً وحلق مع السرب. التوزيع الأوائل للنشر والتوزيع. سوريا الطبعة الأولى تموز 2006 ص 21.



3- آليات استثمار البرمجة اللغوية العصبية في تحفيز المتعلمين:

إن المتعلم يملك خزاناً مهماً من الانفعالات والمشاعر والموارد يمكن للمدرس استثمارها وتنشيطها وتحفيزها قصد تخليص المتعلم من اللامبالاة واليأس والملل وتغيير تفكيره السلبي. ومن بين الاقتراحات التي تصب في هذا الاتجاه.

أ- حثه على امتلاك الرغبة في التغيير وكون هذه الخطوة هي مفتاح تجاوز الوضع الراهن. وفي هذا الصدد يمكن توظيف بعض المتون الدينية لتحقيق التأثير المنشود، ومنها على سبيل المثال: « إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » سورة الرعد. الآية 11. ويمكن أيضاً إقناع المتعلم بأن السبيل المفضي إلى امتلاك شيء هو حبه.

ب- مواجهته بتساؤلات تكون بمثابة مدخل لتقييم وضعه الراهن:

يجب على المدرس تحديد المشكلة المتمثلة في سيطرة التوجه الذهني السلبي على نفسية المتعلم من قبيل: هل أنت راض عن نفسك؟ ألا ترى أن بإمكانك الحصول على درجات ونقط جيدة؟ هل يملك المتفوقون موارد وإمكانات مهمة أفضل منك؟ هل الغلاف الزمني المتاح لهم أكبر من ذلك المتاح لك؟

ت- تنمية رصيده ثقته بنفسه: وتعزيز أجواء الإيجابية والتفاؤل لديه، فبدلاً من أن يقول: «أنا فاشل» يطالبه المدرس بأن يقول مثلاً: «فاتتني هذه الفرصة». وهذا يعني ضرورة النظر إلى الفشل على أنه شيء مؤقت يمكن تقييمه، واستخلاص العبر منه بالبحث عن بدائل أخرى من أجل بلوغ النجاح. ولتعزيز هذا التوجه الذهني يمكن حث المتعلم على ضرورة استبدال المعجم السلبي بآخر إيجابي.

ويمكن التمثيل بهذا الجدول:

المعجم السلبي	المعجم الإيجابي
لا أقدر	أقدر
لو	سأفعل فوراً
لا وقت لدى	أستطيع تديير الوقت
ربما	بالتأكيد
مستحيل	ممكّن

ث- اقتران القول بالفعل والسلوك: من السذاجة بمكان حدوث تغييرات إيجابية لدى المتعلم عن طريق الاكتفاء بالأمانى. وبالتالي لا بد من الجد والكّد والتخطيط وتحدي الصعاب.

ج- تديير الوقت: يعتبر الوقت من أنفس ما يملكه المتعلم لأن ما مضى منه لا يرجع ولا يعوضه شيء. ولهذا يجب الحرص على الاستفادة منه، وعدم تبيده في أمور تافهة والسعي إلى اكتساب تقنيات تدييره لأنها من الكفايات التي يجب الحرص على تعلمها والعمل بها بحكم أنها «ترفع من الفعالية، وتمكّن من النجاح»⁶. ومن ذلك إقناع المتعلم بأن نجاحه رهين بضرورة إدارة انفعالاته، وضبط نفسه بالاستثمار في ما يمكن الاصطلاح عليه بالتضحيات أي أنه مطالب بعدم إهدار وقته في الإدمان على مشاهدة التلفاز وولوج الانترنت، وإرجاء ذلك إلى الوقت المناسب. وفي هذه الحالة إن ما يفعله المتعلم هو أنه يتخلى عن متعة أو بهجة حالية مؤقتة وزائفة من أجل تحقيق هدف نبيل ومنتعة أعظم. وهذا الاختيار أو القرار غير متاح للجميع، خاصة إذا علمنا بأن من يستطيع التغلب على الآخرين قوي. أما من يستطيع التغلب على نفسه فهو أقوى.

ح- ضرورة حث المتعلم على التحلي بالصبر والإصرار والمثابرة التي تتمثل في القدرة على مواصلة المحاولة، فقد يتوقف النجاح على الخطوة التالية مباشرة للخطوة التي استسلم عندها.

خ- القيام بنقد ذاتي بين الفينة والأخرى، وعدم إهدار الوقت في توجيه اللوم إلى ضيق الوقت أو الظروف أو المدرس أو زملاء أو الجيران أو الدولة.

د- إطلاع المتعلمين على بعض التمارين الذهنية المتعلقة باستدعاء العقل الباطن والتواصل معه والاستفادة من أحلام اليقظة التي تساعد على الاتزان النفسي. وذلك بالاسترخاء في

6 - James Manktelow. Gérez votre temps. Person Editions 2007 France P6.

فترات معينة منها: بعد الاستيقاظ صباحا، ووقت القيلولة، وقبل المغرب، وقبل الخلود إلى النوم وبداية استسلام الجفون له، وبعد قضاء فترات متواصلة من العمل، وإبان الشعور بالجوع. وهذه الأوقات يكون فيها العقل الباطن قريبا منا. ويمكن استمالته بسهولة، وإشراكه في وضع الحلول الإبداعية من خلال تصور المتعلم ما يصبو إلى تحقيقه، وتأمله إلى درجة الاستغراق، وإرساله إلى عقله الباطن، والرجوع بعد ذلك إلى ممارسة الحياة العادية. وهذا يعني أنه بوسع المتعلم أن يبرمج عقله لتحسين حافزيته وتحصيله الدراسي خاصة إذا علمنا بأن العقل الباطن يفكر بصورة حرفية ولا يفهم روح الفكاهة، ولا الفارق بين الجد والهزل، أو الواقع والخيال.

ولتيسير وتفعيل التفكير الإيجابي لدى المتعلمين يجب على المدرس أن يجنح إلى ما يصطلح عليه التقمص العاطفي. ومعناه القدرة على معرفة وتفهم حاجات ودوافع المتعلمين أي أن يضع نفسه موضعهم حتى يفهم سلوكهم. كما أنه مطالب بأن يثق في قدراتهم، وإمكانية تحسن أدائهم، وعدم السخرية من أجوبتهم، واعتبار أخطائهم المنطلق لتصحيح التعليمات، وبث روح التفاؤل والطموح في أنفسهم، واستنهاض هممهم لأن «الموقف الإيجابي للمعلم حيال التلميذ عنصر إيجابي لتطوره. وعلى العكس من ذلك، فالحكم المسبق والسلبي تجاه التلميذ يؤدي به إلى عدم بذل قصارى جهده»⁷

إن هذه الكياسة في تقبل أجوبة المتعلم ستفضي مع مرور الوقت إلى تشجيعه على المشاركة في الأنشطة الصفية. وبعد كل تعزيز إيجابي - صادر من المدرس - لجهوده، وثأته على تمكنه من إنجاز بعض التمارين، والوصول إلى الحلول أو الأجوبة الصحيحة» يحصل المتعلم - لحسن الحظ - على مكافأة أو ثواب بيولوجي من عقله على شكل دوبامين Dopamine... بمعنى أن هناك أحاسيس ممتعة يمكن أن تصاحب تعلمنا ناجحا»⁸

وبما أن الأسرة لها دور خطير في استنهاض أو تثبيط الهمم، ينصح بتواصل المدرس مع آباء وأولياء التلاميذ المتعثرين، وإقناعهم بأهمية تحفيز أبنائهم، وتشجيعهم على التحصيل في سبيل بلوغ غد أفضل. وهذا الأمر يسري على مؤسسات أخرى تلعب دورا مؤثرا مثل المسجد ووسائل الإعلام والاتصال.

7 - غاستون ميلاربه. علم النفس التربوي. ترجمة رباب العابد 2009. الطبعة الأولى. نشر كلمة "أبوظبي"، مجد بيروت. ص 141.

8 - Cerveau psycho N° 41 Bimestriel septembre - octobre 2010. P 53

خاتمة :

وأخيرا يجب أن نقر بأن نجاح البرمجة اللغوية العصبية في وسطنا التعليمي يقتضي مدرسا يحب مهنته، ويتفانى في عمله ويطلع على الجديد باستمرار، ويثق بنفسه لأن «المدرسين الذين تقتصم الثقة بدواتهم يميلون إلى عدم الصبر تجاه المتعلمين والسلطوية والعقاب بسهولة والتركيز على نقط ضعفهم»⁹.

المراجع :

- 1 - د. محمد علي كامل. علم النفس المدرسي. الأخصائي النفسي المدرسي ودوره في تقديم الخدمات النفسية. مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع. مصر 2003.
- 2 - غاستون ميالاريه، علم النفس التربوي. ترجمة رباب العابد نشر «كلمة» ابو ظبي، «مجد» بيروت الطبعة الأولى 2009.
- 3 - د. عثمان حمود الخضر. الذكاء الوجداني. إعادة صياغة مفهوم الذكاء. الناشر. شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع. الكويت الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة محرم 1429 هـ - يناير 2008 م.
- 4 - د. أياد السفاريني الذكاء العاطفي. سلسلة كن مبدعا وحلق مع السرب. التوزيع الأوائل للنشر والتوزيع سوريا الطبعة الأولى. تموز 2006.
- 5- Nathaniel Branden. Les six clés de la confiance en soi. traduit de l'américain par jacqueline susini. Editions j'ai lu. France 1995.
- 6- James Manktelorw. Gérez votre temps person Editions France 2007.
- 7- Cerveau – Psycho (Revue) N° 41 Bimestriel Septembre – octobre 2010.
- 9 - Nathaniel Branden. Les six clés de la confiance en soi traduit de l'amérecain par jacqueline suisini. Editions j'ai lu 1995 France P 238